هواه انه لا يخرج من بيته او خلوته للناس الا في اوقات مخصوصة وربما اتاه شخص من مكان بعيد فلم يخرج له حتى يجي الوقت الذي عادته الخروج فيه خوفا من قلة تعظيمه اذا خالط الناس في وجهه وواحد هواه حلقة الذكر في زاويته واجتماع الناس عنده وكثرة تواضعهم له وربما فارقوه واجتمعوا بغيره فشكا لذلك وواحد هواه اقامة المجاورين عنده ليصطاد بهم الدنيا ويكمل نظام مشيخته فان من لا فقرا عنده ليس بشيخ عند غالب الناس او هو شيخ مهمل بخلاف من عنده فقرا ولذلك يفرح اذا سمع الناس يقولون عنده مجاورون وواحد هواه اطعام الطعام لا سيما الدقة والسمن وواحد هواه تقواه وورعه وزهده فهو يحب ذلك لما فيه من تعظيم الناس ويخاف من تركه خوفا ان يزدريه الناس لا خوفا من الله تعالى وواحد هواه ان يرد كلما يأتيه من الولاة والمباشرين ويفرح اذا وصفه الناس بذلك حتى بين اقرانه بل رايت من يكذب ويقول اعطاني الباشاه نحو الستين الف نصف فرددتها عليه ليقوم له بذلك جاه في قلوب العامة وواحد هواه جميع هذه الخصال وواحد هواه التنزه عن جميع الخصال هذه وواحد هواه التنزه عن جميع الخصال المذمومة شرعا وعرفا والتحلي باضدادها فيجلس على الارض بلا سجادة ويترك ارخا العذبة ويلبس الجبة الغليظة الدنسة ويخالط الناس ولا يحتجب عنهم في بيته في وقت من الاوقات ولا يجعل له حلقة ذكر في زاويته ولا يمكن احدا من المجاورة عنده ولا يجعل له سماطا في زاويته ولا يرد ما يأتيه على يد الولاة واعوانهم وغير ذلك لان النفس من شانها طلب العلو والنفرة من اماكن الذم ولا خلاص عنده وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول كل شي مالت اليه النفس من حيث الحظ فادم به وان كان خيرا في الاصل اذ النية كالاسير فربما دخلت النية الخبيثة في الطاعة فجعلتها معصية فالعاقل من فتش نفسه والحمد لله رب العالمين وما انعم الله تعالى به علي نصحي اخواني على سبيل الكرم والغرض عندي وبه تنفس الي شيخ عليهم وهم موردون لي وهذا هو القدم الذي عليه السلف الصالح رضي الله عنهم فكانوا ينصحون بعضهم بعضا من غير رؤية احدهم نفسه على اخيه وذلك لان شروط الشيخ والمريد قد عز وجودها في هذا الزمان بل من ازمان متعددة وبلغنا ان جماعة جاوا الى سيدي ابراهيم المتبولي يطلبون الطريق الى الله تعالى فقال لهم اللعب بالطريق ما هو مليح واعينكم محرمة فتقديري اني احط لكم فيها شيئا من المرود لا يصل معكم الى بيوتكم بل يبتا فقط كله قبل دخولكم اليها فقالوا يا سيدي هذا لنا حرق قلوبنا فقال ما بقي مع احد اذن في ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا انتهى وكذلك وقع للشيخ عبد الحليم بن مصلح قال له انسان اريد ان ادخل الخلوة وتجعل لي بركتك فقال النجاسة لا تطهر نجاسة وكذلك وقع لسيدي ابي العباس الغمري وسيدي عثمان الحطاب وسيدي محمد بن عنان وسيدي محمد المنير وسيدي محمد بن داود وجماعة كثيرة ممن ادركناهم كلهم سدوا باب التسليك وقالوا ما بقي احد يقدر يمشي على قواعد اهل الطريق وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول مثال من يفتح باب المشيخة الان مثال من فتح المكتب يوم الخميس بعد العصر وطلب جمع الاطفال ليقرئهم ثم يقدر ان اولياهم يأتون بهم لوحا فلا يقدرون على قبولهم عليه وكذلك الحكم في الحجاج اذا رجعوا من مكة واشرفوا على بركة الحاج ورأوا اغنيلها لا يقدر امير الحاج على تقطيرهم ولا على عدم انتشارهم فهكذا حكم من يريد يعمر شيخا في هذا الزمان لا يقدر على اجتماع قلوب المريدين وعلقتهم باخلاق اهل الطريق وان شككت في قوله هذا فامرهم بالتخلق بشي من اخلاق هذا الكتاب تعرف ذلك يقينا

مع

مع ان الشيخ الان قد صارت هيبته تمنعنا ان يعمل شيخا فليعمل عمل وصار الناس يقولون لبعضهم بعضا مادريتم ايش جرى فلان الاخر عمل شيخا ولو شا احدنا لعمل مثله ولما كان الشيخ نور الدين الحسيني رضي الله عنه يلقن في مدرسة السلطان حسن سمع شخصا يبيع شيوخ الكتان الخشب يقول بالقفة شيوخ بعثماني فاخذه منها معني فلم يلقن احدا حتى مات والحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي شهودي قلة نفعي لاصحابي كما كثروا لاني لو نفعتهم لعزوا مني ولم ينتفعوا الا القليل وهذا الخلق قل من يتنبه له من الفقرا بل ربما راى مقامه يعظم بكثرة المريدين والمعتقدين فليعتقد الفقير نفسه ولا يحتج لانه لولا مسامحته التلامذة بالاخلال بآداب الطريق ما كثروا حوله بل سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من خطر في باله ان اخوانه وتلامذته ادنى مرتبة منه عند الله تعالى وانه اصدق منهم في الطريق فقد خرج عن الطريق وهو احسن حالا من الشيخ لانهم لم يخطر لهم ابدا انه تلميذهم وسمعت اخي افضل الدين رحمه الله يقول متى راى الفقير انه تلميذ دونه في الدرجة فقد ادعى الكبر والمتكبر عدو الله تعالى لا يصلح ان يكون داعيا اليه فقلت له فما خلاصه من ذلك فقال ان ينصح اخاه مع شهوده انه اخاه احسن حالا منه واكثر طاعة لله منه انتهى وسمعته مرارا يقول من شرط الصادق ان يرى جماعته بالعين التي يرى بها التلامذة في حد سوا ومتى رجح نسبة تلامذته اليه على نسبة تلامذة غيره اليه فقد خرج عن مراسم اهل الطريق انتهى وهذا الامر لا يتنبه له الا القليل من الناس ومما وقع لي اني سمعت يهوديا جي يقول ليهودي اسمع يا اسحاق اجمع جميع اهل الملل على انه لا يتقرب الى الرب بشي دخلته النفس انتهى وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما تركت لي كلمة الحق من صديق فاياك يا اخي ان تستهون بجانب الفقير الذي قلت تلامذته فان ذلك قد يكون من علامة صدقه في الطريق بل رايت بعض المدعين للتصوف يأخذ جماعته كل قليل الى مواضع الفرج والتنزهات ويتجابون الفلوس التي يصنعون بها الطعام كما يفعل العوام ثم وقع ان جماعته فارقوه وتنزهوا في بستان مع شخص من اقرانه فهجرهم وصار يحط عليهم ويقول انهم صاروا مرتدين فاستفتوا عليه العلما فافتوا بتعزيره التعزير الشديد فما لهذا الشيخ والتلامذة فلا هو مشي على قواعد الطريق ولا جماعته فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واين هذا الشيخ ممن كان اذا راه مريده يرعد كما ترعد القصبة في الريح العاصف من شدة هيبته ومن هنا كان اخي افضل الدين يقول انا اكره اسم الشيخ والمريد في هذا الزمان واكره سماع قول الشيخ عن اخيه المسلم فلان من طلبتنا وانما الادب ان يقول فلان من اعز اخواننا فان في قوله انه تلميذنا او طالب ازدرا بمقامه ورفعا لمقام ذلك الشيخ انتهى وسمعته يقول اياك ان تترك النصح لاخوانك خوفا ان ينفروا عنك ويقولوا لك الشيخ اترك نصحهم الى وقت اخر لا سيما ان صحبوك سنين من غير نصح فربما فاتهم النصح منك جملة واياك ان تترك النصح لاحد خوفا ان يفتح الاخر عليك باب النصح فتخاف على ناموسك ان ينقص بين الناس كما يقع فيه كثير من الناس فان ذلك كله غش في الدين ولا خير في اخوة لا نصح فيها وقد نصحت مرة فقيها ما حب نفس فجرت النصحة وهو دائر على عيب ينصحني بذلك ليقابلني بالاذى في زعمه فمثل هذا اترك النصح له ممن لا سياسة عنده اولى لان النصح يزيده اثما وبالجملة فكل من لم ياذن له الاشياخ الصادقون في الجلوس للتربية للمريدين فلا فات تطرقه ولا يكاد يسلم له عمل والحمد لله رب العالمين ومما من الله تعالى به علي انه لا ينصحني ناصح بيني وبين نفسي مستغنية عن نصحه بل ادي ما نصحني به بعض ما اقع

Copyright King Saud University